@Tafsircenter

التلاوة والدِّراسة في القرآن الكريم

معناهما والعلاقة بينهما

د. وفاء عبد الله الزعاقي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

ملخص البحث:

التلاوة والدِّراسة مصطلحان قرآنيّان ارتبطَا بالقرآن الكريم؛ فالتلاوة تعني تعاهُد القرآن بقراءته كما أُنْزِل، واتّباع ما فيه اعتقادًا وقولًا وعملًا وتعليمًا، وأمّا الدِّراسة فهي تعاهُد كتاب الله بكثرة القراءة؛ لفهمه وتدبّره، وإدراك معانيه. فالتلاوة أعمُّ من الدِّرَاسة، إلّا أن التلاوة لا تتحصل في بعض صورها إلّا من خلال الدِّراسة؛ ولذا جاء الجمع بينهما في الحديث عن فضل مجالس تعلُّم القرآن الكريم. ونظرًا لأهمية التلاوة والدِّراسة في تحقيق الاستمساك بالقرآن الكريم وتحقيق عبادة التلاوة وفق الوجه المشروع الذي سلكه النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم؛ جاءت هذه الدِّراسة لتكشف المعاني التي دلَّت عليها الآيات التي تناولَت الحديث عن التلاوة والدِّراسة وفق المنهج التحليلي والاستنباطي، وخلصَت إلى عدد من النتائج، ومنها:

١. إنّ تلاوة القرآن الكريم معنى واسع ذو بُعْد إيمانيّ شامل لحياة المسلم.

٢. إن الدِّراسة وردتْ في القرآن في سياق بيان دراسة أهل الكتاب لكُتبهم، أو العلماء، أو في مقام محاجّة الكافرين.

٣. إن الدِّراسة معنى أخصّ من التلاوة؛ إِذْ هي عملية تعليمية لكتاب الله تعالى.

٤. إنّ من مقوِّمات تعزيز تلاوة القرآن ومدارسته تعظيمَ مجالس التلاوة والمدارسة، والنظر في آثارها الإيمانية.

٥. إنّ التلاوة والدِّراسة في القرآن لم تَرِدَا في صيغة المصدر إلّا مرة واحدة، وهما على وزن فِعَالة الدالّة على الصّنعة، وغالب ورودهما في صيغ الفعل الدالّ على استمرار التلاوة بمهارة في جميع الأحوال، والعمل بالقرآن، والدالّ على استمرار دراسة القرآن، وتعاهُده بالحفظ والفهم والتدبّر.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هناك أمرٌ قرآني بارز، وإلحاح على موضوع تلاوة القرآن الكريم، وكذلك هناك بيان نبويّ بأهمية تلاوة القرآن ودراسته، وأنّ المجلس الذي تجمعه التلاوة والدِّراسة هو من أَجَلِّ المجالس وأشرفها على الإطلاق، ولكي يتم للمسلمين تحقيق التلاوة والدِّراسة للقرآن الكريم، فلا بد من فهمِ معنى التلاوة والدراسة المطلوبة فهمًا جيّدًا؛ إذ القيام بمهمّة التلاوة والدراسة وتطبيق معناها في الواقع يرتبط بدرجة رئيسة بطبيعة التصوّر للمراد من التلاوة والدِّراسة أولًا.

إشكالية البحث:

في ضوء ما سبق تتبلور إشكالية البحث، والتي تدور حول التساؤل عن معنى التلاوة والدِّراسة في القرآن الكريم، وطبيعة العلاقة بينهما.

وتأتي أهمية هذه الإشكالية في إتاحتها تحرير بعض المصطلحات القرآنية المهمّة التي ترتبط بعلاقة الناس بالقرآن؛ مما يتيح للبحث الإسهام بذلك في تعميق ارتباط الناس بالقرآن، وتفعيل دوره في حياتهم، وذلك عبر تحرير معنى التلاوة والدِّراسة التي حضّ الإسلام -قرآنًا وسُنّةً- على أهمية النهوض بهما إزاء القرآن، وكذلك تقديم مقترحات للنهوض بمكاتب التحفيظ وغيرها كي تكون أداة فاعلة في حُسن العمل بالقرآن.

أهداف البحث:

١. بيان معنى التلاوة والدِّراسة في القرآن الكريم.

٢. إبراز العلاقة بين التلاوة والدِّراسة في القرآن الكريم.

٤. بيان المقوِّمات المُعِينة على تعزيز التلاوة والدِّراسة لدى قارئ القرآن.

٥. توظيف المعاني اللغوية للفظ التلاوة والدِّراسة في فهم الأبعاد الدلالية لهما في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في مظانّ وجود دراسات تتناول الموضوع نفسه أو قريبًا منه وقفتُ على ما يأتي:

• **في مفهوم التلاوة؛ دراسة قرآنية**: للباحث عبد الحميد بن عبد الله الإدريسي، وهو بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد ١٩. وقد اعتنى الباحثُ بدراسة مصطلح التلاوة في القرآن الكريم وأبعادها الدلالية، وقد أفدتُ من بحثه، وانطلقتُ منه في فهم معنى التلاوة في القرآن؛ وأتممتُ بناء هذا البحث تحقيقًا لأهدافه التي تختلف عن دراسة الإدريسي التي لم تكن تهدف إلى دراسة العلاقة بين مصطلح التلاوة ومصطلح المدارَسة وأثر ذلك في تعزيز منهج التدارس.

• **أحاديث المعارَضَة والمُدَارسَة؛ جمع ودراسة**: للباحث علي محمد السهولي، وهو بحث منشور من ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثاني: التلقي القرآني في العهد النبوي؛ أنماط ومآلات، الذي نظّمته الرابطة المحمدية للعلماء- مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرآنية بالرباط، وهو بحث حديثي؛ ولذا فإنّه يختلف من حيث موضوع البحث (منهجه وأهدافه) عن الدراسة القرآنية الحالية.

• **تدارس القرآن: مفهومه، آلياته، أدوات تطبيقه**: للباحث عادل ضحوي، وهو من منشورات مركز تفسير على الشبكة العنكبوتية:

https://tafsir.net/research/7/

وهي ليست دراسة موضوعية ولا مصطلحية، كما أنها لم تقم على أساس الربط بين مفهوم التلاوة وحضوره في القرآن وبين مُدارسة القرآن الكريم.

• **تدارس القرآن ومجالسه؛ دراسة تأصيلية منهجية**: للباحث محمد الربيعة، بحث منشور في مجلة المنبر، منشورات هيئة علماء السودان، ع٢٧، سنة ٢٠١٩م.

وهي دراسة تضمّنت تعريف المُدارسة والأدلّة عليها، كما اعتنتْ ببناء منهج مجالس المدارسة، وما يتعلّق بذلك من مسائل تربوية، وهي في ذلك تختلف عن هذه الدِّراسة وأهدافها.

منهج البحث:

اتبعتُ في إعداد هذه الدِّراسة المنهج التحليلي والاستنباطي وفق الإجراءات الآتية:

١. جمع ألفاظ التلاوة والدِّراسة جمعًا استقرائيًّا من القرآن الكريم.

٢. جمع تفسير ألفاظ التلاوة والدِّراسة حسب ورودها في القرآن الكريم.

٣. ترتيب المباحث وفق دلالات التفسير بما يحقّق أهداف البحث، ويجيب عن تساؤلاته.

٤. كتابة الآيات وفق برنامج مصحف المدينة المنوّرة للنشر الحاسوبي.

٥. الالتزام بإيراد الأحاديث الصحيحة وتوثيق تخريجها.

٦. توثيق المصادر والمراجع في الحاشية، بذكر اسم الكتاب مختصرًا، ثم اسم المؤلف، ثم الجزء والصفحة.

٧. إذا كان النقل من المصدر بغير النصّ أشرت إلى ذلك.

٨. ترجمتُ للأعلام الذين قد تخفَى معرفتهم.

خطة البحث:

مقدّمة لبيان إشكالية البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه وإجراءاته.

المبحث الأول: التلاوة في القرآن الكريم:

المطلب الأول: معنى التلاوة.

المطلب الثاني: دلالات التلاوة في القرآن.

المبحث الثاني: الدِّراسة في القرآن الكريم:

المطلب الأول: معنى الدِّراسة.

المطلب الثاني: دلالات الدِّراسة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: العلاقة بين التلاوة الدِّراسة ووسائل تعزيزهما:

المطلب الأول: علاقة التلاوة بالدِّراسة.

المطلب الثاني: وسائل تعزيز التلاوة والدِّراسة.

خاتمة: فيها النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول: التلاوة في القرآن الكريم:

المطلب الأول: معنى التلاوة:

أولًا: المعنى اللغوي للتلاوة:

١. **الأصل الاشتقاقي**: كلمة التِّلاوة ترجع إلى لفظ (تلو) فالتَّاءُ واللَّامُ والوَاوُ أصل واحد، ومن الباب التلية والتلاوة وهي البقية؛ لأنها تتلو ما تقدّم منها[(١)].

٢. **المعنى اللغوي**: تأتي التَّلو في اللغة على معانٍ[(٢)]:

أ. **الإتِّبَاع**: تلا إذا اتّبَع، فهو تالٍ أيْ تابع، والمصدر التِّلَاوَة، وتَتَالَت الأُمورُ: تَلَا بعضُها بَعْضًا. والتلو: ولد الشاة حين يُفطم من أمه ويتلوها، والجمع أتلاء، والأنثى تلوة، والأمهات المتالي.

ب. **آخر الشيء**: وتَوالي كلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ. والتوالي: الأعجاز لاتّباعها الصدور.

ج. **البقية والبقاء**: أَتْلَيْتُها عِنْدَهُ: أَبْقَيْتُها. وأَتْلَيْت عليكَ من حَقِّي تُلاوةً أَي بَقِيَّةً. والتُّلاوَةُ والتَّلِيَّة: بقية الشيء عامة، كأنه يتتبع حتى لم يبقَ إلّا أقلّه، وبقيَتْ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (١/ ٣٥١).

(٢) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد؛ ولسان العرب، ابن منظور، مادة: تلو (١٤/ ١٠٢)، وقرأ (١/ ١٢٨-١٢٩).

لي حاجة فأنا أتتلاها. والتلاء الذمّة؛ لأنها تُتبع وتُطلب، وخصّ بعضهم به بقية الدَّيْن والحاجة.

د. **التمنّي**: وقد تُطلق التِّلاوةُ ويُراد بها التَّمَنِّي. تمنَّى الكتاب: قرأه وكتبه. وقد تُنسب الأماني إلى أنّ القائل إذا قال ما لا يعلمه فكأنه إنما يتمناه.

هـ. **الجمع والتعاهد**: تَتَلَّى إِذا جَمَع مَالًا كَثِيرًا. وهُوَ يُتْلِي بَقِيَّة حَاجَتِهِ، أَي يَقْتَضِيها وَيَتَعهَّدها.

و. **الخذلان والترك**: تلوته أتلوه، وتلوتُ عنه تلوًا، كلاهما: خذلته وتركته. وتلا عنِّي يتلو تلوًا إذا تركك وتخلف عنك.

ز. **القراءة**: الأصل في (القراءة) الجمع، وَعَمَّ بَعْضُهُمْ التلاوة كُلَّ كَلَامٍ؛ وأَنشد ثَعْلَب:

واسْتَمَعُوا قَوْلًا بِهِ يُكْوَى النَّطِفْ يَكادُ مَنْ يُتْلى عَلَيْهِ يُجْتَأَفْ

وَمَعْنَى قَرَأْتُ القُرآن: لَفَظْتُ به مَجْمُوعًا أَي أَلقيته. وتَلوتَ الْقُرْآن إِذا قرأته كَأَنَّك اتّبعت آية فِي إِثْر آية. وقال ابن القيم: «وسمى تالي الكلام تاليًا؛ لأنه يُتبع بعض الحروف بعضًا لا يخرجها جملة واحدة، بل يتبع بعضها بعضًا مرتَّبة، كلما انقضى حرفٌ أو كلمة أتبعه بحرف آخر وكلمة أخرى»[1].

(١) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (١/ ٤٢).

وبيَّن محمد حسن[١] المعنى المحوري للتلاوة أنه اتباع الشيء ما يسبقه لحوقًا به من خلفه. ومن التلو المكاني يُؤخذ التلو العملي، أي التنفيذي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، يتَّبعونه حقّ اتِّباعه[٢].

فالمعنى اللغوي لكلمة التِّلاوة في اللغة له دلالات حسيّة ومعنويّة، كما أنه يشترك مع ألفاظ أخرى لها دلالتها التي تُعطي خصوصية لِلَفْظ التِّلاوة، فهو يشترك مع (القراءة) ومع (الاتّباع)؛ ولذا نلاحظ أنّ أهل اللغة في كتبهم إذا ذكروا لفظ التلاوة فإنهم يذكرونه مرتبطًا بالقرآن الكريم ارتباط خصوصيّة ولزوم، وهذا ما أكَّده الراغب في قوله: «والتلاوة تختصّ باتِّباع كُتُب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمرٍ ونهي، وترغيب وترهيب»[٣].

فتلخّص مما تقدّم أنّ تلاوة القرآن في اللغة: تعاهُد قراءة حروف القرآن وكلماته، مرتَّبة بعضها يتبع بعضًا.

---

(١) محمد حسن جبل، لغوي وأكاديمي مصري، وُلد عام (١٩٣١م) بقرية (تيدة) بمحافظة كفر الشيخ. ترقّى في سُلّم التعليم حتى حصل على رتبة (أستاذ) في (١٩٨٨م)، وترقّى في سُلّم العمل الأكاديمي حتى وفاته (سنة ٢٠١٥م). من مؤلّفاته: (المختصر في أصوات اللغة)، و(المعنى اللغوي)، و(التلقي والأداء في القراءات القرآنية) وغيرها. انظر: ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم (١/ ٢١٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة تلو، ص٧٥.

ثانيًا: معنى التلاوة في القرآن الكريم:

وردت التلاوة في القرآن الكريم في ثلاث صيغ، نذكرها مع بيان معناها كما يأتي:

١. صيغة المصدر: (تِلاوة):

وردتْ صيغة المصدر مرّة واحدة عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]، والمصدر هو ما دلّ على حدث[١] مجرَّد عن الزمان، ولفظ (تِلاوة) كما أنه دالّ على حدوث أمرٍ فإنه على وزن (فِعَالة) الدالّة على حِرفة أو صناعة، كما قرّر ذلك ابن قتيبة في قوله: «وفِعَالة تأتي كثيرًا في الصناعات والولايات: (كالقِصَارَة) و(النِّجَارَة) و(الخِيَاطَة) و(الوِكَالَة)...»[٢]، وهناك تلازم بين الحِرْفة والولاية؛ لأن الصانع قائم على حِرْفته بمنزلة الولاية للشيء والقيام به[٣]، وأضاف أبو هلال العسكري فائدة مهمّة تتعلّق بدلالة (فِعَالة)، وهي الاشتمال، فقال: «الفِعَالة للاشتمال مثل العِصَابة، والعِمَامة، والقِلَادة؛ ولذلك جاء أكثر أسماء الصناعات على فِعَالة

(١) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزَّجَّاجي، ص٥٣.

(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص٥٨٢- ٥٨٣.

(٣) الكتاب، سيبويه، ص٥٨٢- ٥٨٣.

نحو القِصَارة والخِيَاطة»[(١)]، فالعلاقة بين الاشتمال والصناعة أو الحِرْفة شدّة الملازمة، كما أنّ الحرفة تدلّ على الدأب وكثرة المزاولة مع الإتقان والمهارة فيها[(٢)]، وهذا شأن التلاوة فإنها تستلزم من التالي مصاحَبةً لها وتعاهُدَها بكثرة القراءة حتى لا تتفلَّت، مع بذل الجهد لتعلُّم التلاوة على الوجه الصحيح الذي نزلَتْ به، وبذل الجهد في فهم ما يتلو، ثم بذل الجهد للعمل به والاستقامة عليه.

٢. صيغة اسم الفاعل: (تالي):

قال تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ [الصافات: ٣]، وهذه الصيغة كسابقتها لم تَرِد إلّا مرة واحدة، وهي صيغة تدلّ على الحَدَث، والحدوث، وفاعله[(٣)]، فالمراد أن التلاوة صفة ثابتة للتاليات -على اختلاف بين المفسرين في المراد بهم[(٤)]-، فهي مداومةٌ على التلاوة لا تنقطع عنها، وهذه المداومة مقصودة لذاتها؛ ولذا جاء القَسَم بها.

---

(١) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص٢٣١.

(٢) انظر هذا المعنى: (في مفهوم التلاوة؛ دراسة قرآنية)، عبد الحميد الإدريسي، مجلة معهد الإمام الشاطبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المجلد ١٠ العدد ١٩، عام ٢٠١٥م، ص١٢٢.

(٣) معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ص٤١.

(٤) انظر معنى «التاليات» جامع البيان، الطبري، (٢١/ ٨)؛ والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/ ٦٢).

٣. صيغة الفعل:

وهي أكثر الصيغ ورودًا في القرآن الكريم، وقد وردتْ بلفظ الفعل الدالّ على تجدّد وقوع الحدث، وهذا ما نلاحظه في دلالات (تلا، يتلو، اتْلُ)، كلّها تدلّ على تجدّد التلاوة واستمرارها بما يَشِي بأنها عادة سلوكية غير منقطعة، سواء أكان الفعل دالًّا على حدوث التلاوة في الزمن الحاضر أم في المستقبل، أو دالًّا على حدوث التلاوة في الزمن الماضي، أو كان الأمر بالتلاوة، كما أنها وردتْ في الآيات المكيَّة والمدنيَّة بنسبٍ متقاربة؛ مما يدلّ على أنّ التلاوة فعلٌ ملازمٌ للقرآن، فلا يتصوّر أن ينزل القرآن دون أن يواظب على تلاوته، وفي الجدول الآتي بيان للآيات التي وردتْ فيها التلاوة على صيغة الفعل:

م	السور المكية	السور المدنية
١	﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]	﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤]
٢	﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس: ١٦]	﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]
٣	﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [يونس: ٦١]	﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١١٣]
٤	﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]	﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ﴾ [البقرة: ١٢١]

م	السور المكية	السور المدنية
٥	﴿لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الرعد: ٣٠]	﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]
٦	﴿قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٣]	﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١]
٧	﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ [مريم: ٧٣]	﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢]
٨	﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المؤمنون: ٦٦]	﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]
٩	﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾ [القصص: ٣]	﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ [آل عمران: ٩٣]
١٠	﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٤٥]	﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٠٨]
١١	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٥٩]	﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٣]
١٢	﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]	﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤]
١٣	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]	﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ [الحج: ٧٢]

م	السور المكية	السور المدنية
١٤	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٧١]	﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢]
١٥	﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٦]	﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١١]
١٦	﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٢]	﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢]

المطلب الثاني: دلالات التلاوة في القرآن الكريم:

مما سبق عرضه من ألفاظ (التلاوة) والنظر في السياق الذي وردتْ فيه نخلص إلى الدلالات الآتية:

١. جاءت التلاوة في سياق الإطلاق غير مقيّدة بظرف أو بحال أو زمان؛ مما يدل على أنها عملٌ مستمر، وعادةٌ لا تنقطع ملازِمةٌ لصاحبها في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، فقوله: ﴿يَتۡلُونَ﴾ فعل مضارع يدلّ على تجدد وقوع الفعل، فهم يداومون على التلاوة، كما أنّ الفعل لم يتعلّق بظرف أو هيئة تقيِّد حال الفاعل، فصاحبُ القرآن ديدنه وعادته التلاوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١- ٩٢]، فهذا تكليف للنبي ﷺ بالتلاوة بعد الأمر بالعبادة والدخول في الإسلام، ثم جعل الهداية والضلال بعد التلاوة إشارة إلى ارتباط التلاوة بوظيفة الرسالة، ويدخل في الآية العمل، وكانت في القرّاء وغيرهم ممن اتصف بأوصاف الآية[(١)].

(١) المحرّر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٤٣٨).

قال البِقاعِي: «ولما بيَّن ما أُمِر به في نفسه، أتْبَعه ما تعمُّ فائدتُه غيرَه، فقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾، أي: أواظب على تلاوته وتُلُوِّه -أي اتّباعه-؛ عبادةً لربي، وإبلاغًا للناس ما أُرسِلت به إليهم، مما لا يُلِمُّ به ريبٌ في أنه من عنده، ولأكون مستحضرًا لأوامره فأعمل بها، ولنواهيه فأجتنبها، وليرجع الناس إليه ويعوِّلوا في كلّ أمر عليه؛ لأنه جامع لكلّ علم»[1]، فكان ﷺ مواظبًا على التلاوة يتعاهدها ولا يدعها؛ يقرأ القرآن قائمًا، وقاعدًا، ومضطجعًا، وفي جميع أحواله، ولم يكن يمنعه من قراءته إلّا الجنابة[2]، وفي حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)[3]، وعن أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: (تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا)[4]، قال الطيبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعاهُد الشيء، وتعهّده: محافظته، وتجديد

(١) نظم الدرر، البقاعي (١٤/ ٢٢٩).

(٢) انظر هديه ﷺ في قراءة القرآن واستماعه وخشوعه وبكائه عند قراءته؛ زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (١/ ٤٦٣- ٤٦٤).

(٣) صحيح البخاري (ت:٢٥٦هـ)، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (٦/ ١٩٣/ ح٥٠٣١).

(٤) صحيح مسلم، ك٦: صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهّد القرآن (١/ ٥٤٥/ ح٢٠٣).

العهد به؛ أي: واظبوا على تلاوته، وداوموا على تكراره ودَرْسه كي لا يُنْسَى»[(١)].

ووصف مطرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية بقوله: «هي آية القرّاء»[(٢)].

وحمَل ابنُ القيم معنى الإطلاق على تلاوة اللفظ وتلاوة المعنى، فقال: «فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامّة، وهي تلاوة اللفظ والمعنى، فتلاوة اللفظ جزء مسمى التِّلَاوَة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع» إلى قوله: «وهذه التلاوة وسيلة وطريقة، والمقصود التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتباعه تصديقًا بخبره، وائتمارًا بأمره وانتهاءً بنهيه وائتمامًا به حيث ما قادك انقدت معه...»[(٣)].

فالتلاوة أعمُّ من القراءة التي تأتي مقيَّدة بحال القارئ، أو بوقت القراءة وظروفها بمثابة الشرط والقيد[(٤)]، كقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨-

(١) البحر المحيط الثجاج، محمد بن علي الولوي (١٦/ ٢٤٠).

(٢) الكشاف، الزمخشري (٣/ ٦١١).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٢).

(٤) انظر: في مفهوم التلاوة، الإدريسي، مجلة الشاطبي، ع١٩/ ص١٧.

١٩٩]، وقولـــه تعـــالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

٢. علوّ شأن التلاوة وعظم قدر الماهر بها، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فالشَّأْنُ: الحال والأمر الذي يتّفق ويصلح، ولا يقال إلّا فيما يعظم من الأحوال والأمور(١)، وقال ابن عاشور: «وضمير ﴿مِنْهُ﴾ إمّا عائد إلى ﴿شَأْنٍ﴾، أي: وما تتلو من الشأن قرآنًا، فتكون (من) مبينة لـ(ما) الموصولة، أو تكون بمعنى لام التعليل، أي: تتلو من أجل الشأن قرآنًا، وعطف ﴿وَمَا تَتْلُوا۟﴾ من عطف الخاصّ على العام للاهتمام به، فإن التلاوة أهم شؤون الرسول ﷺ»(٢)، وهي من أحبِّ القُربات لله تعالى؛ فعن خباب بن الأرت أنه قال لرجل: تقرَّبْ إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرَّبَ إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه(٣).

(١) المفردات، الراغب، ص٤٧٠.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٢١٢).

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٤٢).

ويدخل في علوّ شأن التلاوة علوّ شأن الماهر بها، ففي حديث عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ -قَالَ هِشَامٌ: وَهُوَ شَدِيدٌ عَلَيْهِ. قَالَ شُعْبَةُ: وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ- فَلَهُ أَجْرَانِ)[1]، وفسّر النووي: الماهر الحاذق الكامل الحِفْظ الذي لا يتوقف ولا يشقّ عليه القراءة لجودة حِفْظِه وإتقانه[2].

٣. للتلاوة حقّ يجب أداؤه والقيام عليه، والوفاء به، وذلك من علامات الإيمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، فـ﴿تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ موصوفة بالحقّ قال الهمذاني: «﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ نعت لمصدر محذوف دلّ عليه الظاهر، أي: تلاوة حقّ تلاوته، وإن شئتَ نصبته على المصدر؛ لأنه نعت التلاوة في الأصل؛ إذ التقدير: تلاوة حقًّا»[3]، وفسَّر ابن مسعود حقّ التلاوة بقوله: «والذي نفسي بيده، إنّ حقّ تلاوته: أن يُحِلّ حلاله ويحرِّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرّف الكَلِم عن مواضعه، ولا يتأوّل منه شيئًا على غير تأويله»، وعن ابن عباس:

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل قارئ القرآن (٥/ ١٧١/ ح٢٩٠٤)، وقال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري (٨/ ١٧٤).

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد، المُنتجب حسين الهمذاني (١/ ٣٦٦).

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ يتَّبعونه حقّ اتِّباعه. وقد نقل الطبري الإجماع على هذا المعنى[(١)]. والتأكيد في الآية بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ دليل على أنّ حقّ التلاوة معنى شامل لاتّباع اللفظ والمعنى؛ لأنّ الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

فالمؤمن بالتوراة، هو المتَّبِع ما فيها، والعامِل بما فيها من فرائض الله دون مَنْ كان محرِّفًا لها مبدّلًا تأويلها، مغيّرًا سننها تاركًا ما فرض الله فيها عليه[(٢)].

٤. للتلاوة مقاصد ووظائف متعدّدة، منها التعليم، وإسماع كلام الله تعالى؛ ولذا أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يُسمع المشركين القرآن ليعلموا الحقّ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ٦]، فالاستماع للتلاوة والإنصات لها سبيل الانتفاع، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١- ٢]، فلما استمع الجن إلى تلاوة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر مع أصحابه آمنوا وأسلموا، ورجعوا داعين قومهم للإسلام، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ

(١) جامع البيان، (٢/ ٥٦٥، ٥٦٧).

(٢) جامع البيان، (٢/ ٥٧١) ملخصًا.

نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣١][1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ)[2]، وعلّق ابن باز[3] على هذا الحديث بقوله: «والتغنّي بالقرآن التلذّذ به، وتحسين الصوت به، والجهر حتى يستمع الناس ويستفيدوا»[4]، وأثر الاستماع والتأثّر بالتلاوة يعمّق ويزيد بملازمة التلاوة والمواظبة على التّرديد، فهي تزيد القلبَ يقينًا وثباتًا وخشوعًا؛ لأنه في كلّ مرة يتكشَّف له جلال نَظْم القرآن، وما فيه من معانٍ دقيقة فيزداد علمًا ومعرفة؛ ولذا جاء التأكيد على ضرورة الاستماع للقرآن والإنصات لتلاوته، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ

(١) جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٦٤٨).

(٢) صحيح البخاري، ٩٧: كتاب التوحيد، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: (المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ الكِرَامِ البَرَرَةِ) (٩/ ١٥٨/ ح٧٥٤٤).

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، قاضٍ وفقيهٌ سعودي، ولد في الرياض لأسرة عِلْم، وتلقّى علومه من مشايخ وعلماء بلدته، شغل منصب مفتي عام المملكة العربية السعودية منذ عام ١٤١٣هـ، حتى وفاته سنة ١٤٢٠هـ، ويعدّ أحد كبار علماء السُّنة في عصره، حظي بإكبار وإجلال كلّ مشايخ عصره في أرجاء العالم الإسلامي. انظر: ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki

(٤) الحلل الإبريزية (٤/ ١٦).

﴿ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، فكان رسول الله ﷺ يحب الاستماع للقرآن، ويُنصت له ويطلب قراءته من غيره، ويتأثّر به أعظم التأثّر، فعَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مَسْعُودٍ، قال: (قال لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ! قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[النساء: ٤١]، قال: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ)[(١)].

ومن وظائف التلاوة إقامة الحُجّة على الكافرين والمعرِضين عنه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٥٩]، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس: ١٥- ١٦]، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الحج: ٧٢]، فكانت التلاوة تُبيِّن للكافرين الحقّ،

(١) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن، باب: قَوْلِ المُقْرِئِ لِلْقَارِئِ: حَسْبُكَ (٦/ ١٩٦/ ح٥٠٥٠).

وتكشف لهم الباطل، وكانوا على بيّنة وعلم بما يُتلى عليهم؛ ولذلك يطالبون بتغيُّر ما يُتلى إلى ما يوافق أهواءهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، فالتبديل الذي يطالبون به -كما ذكَر المفسّرون- تحويل آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا، والحرام حلالًا والحلال حرامًا[(١)]، فكان الردّ عليهم ببيان أنّ ذلك مخالف لاتِّباع ما يُتلى، ومخالفة الوحي توجِب عذاب الله، فالحجّة على الكافرين بتلاوة القرآن عليهم قائمة إلى يوم القيامة؛ ولذا خصّت دون سائر العبادات بتذكير أهل النار بها، فقال تعالى: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٥- ٦٦]، ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١].

ومن خلال ما تقدّم من المعاني المستنبطة للتلاوة من القرآن الكريم نخلص إلى أنّ التلاوة تعني: **تعاهُد القرآن بقراءته كما أُنْزِل، واتِّباع ما فيه اعتقادًا وقولًا وعملًا وتعليمًا.**

(١) جامع البيان (١٥/ ٤٠).

المبحث الثاني: الدِّراسة في القرآن الكريم:

المطلب الأول: معنى الدِّراسة:

١. الدِّراسة في اللغة:

١. **الأصل الاشتقاقي للدراسة:** تعود كلمة الدِّراسة إلى (دَرَسَ)، والدَّالُ والرَّاءُ والسِّينُ أصل واحد يدلّ على خَفَاءٍ.

٢. **المعنى اللغوي لـ(درس) يأتي على معانٍ متقاربة:**

أ. **المحو:** دَرَسَ الشيءُ والرسمُ يدرس دروسًا: عَفَا. ودَرَسَتْهُ الرِّياح، أي: عَفَتْه بمعنى مَحَتْه. وقوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قُرِئَ: (دَارَسْتَ). ودَرُسَتْ، أَي: هَذِهِ أَخبار قَدْ عَفَتْ وامَّحَتْ.

ب. **بقية الشيء:** الدَّرس: بقيّة أَثَرِ الشيءِ. والدَّرس والدَّريسُ: الثَّوْبُ الخَلَق. والدَّرْسُ: الطَّريق الخفِيُّ.

ج. **الرياضة والتعهّد:** دَرَسَ النَّاقَةَ يَدْرُسُها دَرْسًا: رَاضَهَا، وَبَعِيرٌ لَمْ يُدَرَّسْ أَي لَمْ يُرْكَبْ، ودَرَسْتُ الصَّعْبَ حَتَّى رُضْتُه. وأصل الدِّراسة: الرياضة والتعهّد للشيء، وَمِنْهُ دَرَسْتُ السورةَ، أَي: حَفظتها.

د. **التذليل والتيسير:** دَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُه دَرْسًا ودِراسَةً، ذَلَّلَهُ بكَثْرة القِرَاءَةِ حَتّى خَفَّ حِفْظُه عليهِ، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه. والفِراشِ المَدْرُوس، أَي: المُوَطَّأ المُمَهَّد.

هـ. **المتابعة والتعهد**: دارَسْتُ الكُتُبَ، وتَدَارَسْتُهَا، وادَّارَسْتُهَا، أَي: دَرَسْتُها، والدَّارِس يَتَتَبَّعُ مَا كان قرأ، كالسَّالك للطَّريق يَتَتَبَّعُهُ، المُدارِسُ: الَّذِي قرأَ الْكُتُبَ ودَرَسَها.

و. **القراءة والمذاكرة**: وقوله: (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ)، قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي قارَأْتَ وذاكَرْتَ، وقيل: تبادَلْتَ الدرسَ مع أهل الكتاب، والمُدارِسُ: الذي قرأَ الكتب ودَرَسَها. وَفِي الْحَدِيثِ «تَدارَسُوا الْقُرْآنَ»، أَي: اقرؤوه وَتَعَهَّدُوهُ لِئَلَّا تَنْسَوْهُ.

ز. **مكان الدِّراسة**: المِدْراسُ: بالكسرِ: المَوْضِعُ الَّذِي يُدْرَسُ فِيهِ كِتَابُ اللهِ، وَمِنْه مِدْرَاسُ اليَهُودِ، وفي الخبر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنتُ أشهد اليهود يوم مدراسهم»[(١)]، واجتمعت اليهود في مدراسهم: هو بيت تدرس فيه التوراة[(٢)].

وبيَّن الراغبُ العلاقةَ بين القراءة والدِّراسة، فقال: «ودَرَسْتُ العِلْم: تناولتُ أثره بالحفظ، ولمّا كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبّر عن إدامة القراءة بالدّرس»[(٣)].

---

(١) جامع البيان (٢/ ٣٨١).

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد (٧/ ٢٢٧)؛ مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٦٧- ٢٦٨)؛ أساس البلاغة، الزمخشري (١/ ٢٨٤)؛ شمس العلوم، الحميري (٤/ ٢٠٨٣)؛ لسان العرب، ابن منظور (٦/ ٧٩)؛ تاج العروس، الزَّبيدي (١٦/ ٦٥- ٦٨)؛ والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ٢٧٩).

(٣) المفردات، ص٣١١.

وقال ابن عاشور: «ومادة درس تستلزم التمكُّن من المفعول؛ فلذلك صار درس الكتاب مجازًا في فهمه وإتقانه»[(١)].

فبمجموع ما تقدّم نصل إلى أن الدِّراسة تشتمل على ما يأتي:

- تعاهد العِلْم بكثرة القراءة حتى يبقى أثره ولا يُنسى.

- مراجعة العلم ليسهل حفظه وفهمه.

فالدِّراسة لها دلالات حسيّة عندما تتعلّق بترويض الحيوان حتى يسهل التعامل معه، ودلالة معنوية عندما تتعلّق بالعِلْم فتحدث عملية ترويضٍ لأدواتِ وطرقِ تلقّي العِلْمِ حتى يسهلَ حفظُه ومتابعتُه وتعهّدُه بالمداومة على القراءة.

مما تقدّم نخلُص إلى أن الدِّراسة في اللغة: تعاهُد العلم بكثرة القراءة؛ لتيسير فهمه وإتقانه وحفظه.

٢. الدِّراسة في القرآن:

ورد لفظ (دَرَسَ) ستَّ مرات في صيغتين؛ إحداهما صيغة المصدر، والأخرى صيغة الفعل، وفيما يأتي بيان لها:

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٥).

أ- صيغة المصدر (دِرَاسَة): وردت مرة واحدة عند قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦].

والدِّراسة القراءة والعلم[(١)]، وعرَّفها ابن عاشور بأنها القراءة بمعاودة للحفظ أو للتأمّل[(٢)].

ب- الوزن الصرفي لـ(دِرَاسَة): تأتي (دراسة) على وزن (فِعَالَة)، وهو وزن يدلّ على حِرفة -كما تقدّم ذِكره- ويفيد ثبوت الفعل واستمراره، والحرفة لا بد فيها من ممارسة وتعاهُد للشيء والقيام عليه، حتى تصبح سهلة الأداء مع المهارة والإتقان لها، فمعنى الصّنعة ظاهر في الدِّراسة من حيث إنّ الدارس يُكْثر من قراءة الكتاب ويتعاهده بالمراجعة والتأمّل؛ ليسهل عليه تعلّمه وحفظه، فأفاد التعبير بـ﴿دِرَاسَتِهِمۡ﴾ الإخبار عن كثرة قراءة أهل الكتاب كتابهم وتعلُّمه وحفظه وإتقانه؛ ولذلك أقام الحُجّة عليهم عندما قالوا الكذب على الله تعالى، وكتموا الحقّ، وحرّفوا كلام الله فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال ابن عاشور:

(١) جامع البيان، الطبري (١٢/ ٢٤٢).

(٢) التحرير والتنوير (٨/ ١٨١).

«والمعنى: أنهم قد أُخِذ عليهم الميثاق بألَّا يقولوا على الله إلّا الحقّ، وهم عالِمون بذلك الميثاق؛ لأنهم درسوا ما في الكتاب، فبمجموع الأمريْن قامتْ عليهم الحُجة»[1].

ج- صيغة الفعل (دَرَسَ، يدرس): وقد وردت خمس مرات؛ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، وقوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [سبأ: ٤٤]، وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم: ٣٧]، وصيغة الفعل تفيد ثبوت الحقيقة وزمانها، والإخبار بالفعل يفيد التجدّد والحدوث[2]، قال ابن عاشور: «ومادة درس تستلزم التمكُّن من المفعول؛ فلذلك صار درس الكتاب مجازًا في فهمه وإتقانه»، وقال: «مادة درس في كلام العرب تحوم حول معاني التأثّر من تكرّر عمل يعمل في أمثاله»[3].

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٦٣).

(٢) نهاية الإيجاز، الرازي، ص٧٩- ٨٠، بمعناه.

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٥).

فهذه دلالات كلمة (درس) من حيث صِيغ ورودها في القرآن، أمّا دلالتها من حيث ورودها في سياقها فقد وردت خمس مرات في سور مكية، ومرة في سورة مدنية.

والملحظ المهم أنّ الآيات المكيَّة والآية المدنيَّة اختلفتْ في المُخاطب واتّفقتْ في موضوع الخطاب؛ فالآيات المكيَّة كان خطابها إمّا خبراً عن شيء من قصص بني إسرائيل وقد ورد مرة واحدة، أو في محاجّة المشركين من أهل مكة، وهو الأغلب وقد وردتْ أربع مرات، وأمّا المدنيَّة فخطابها للمشركين من أهل الكتاب ومحاجتهم في عبادة الله؛ إذْ أخرج الطبري عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك، كما تعبُدُ النصارَى عيسى بن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرِّبِّيس: أوَذاك تريد منّا يا محمد، وإليه تدعونا؟! أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ: معاذَ الله أن نَعبُد غيرَ الله، أو نأمر بعبادة غيره! ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، أو كما قال. فأنزل الله -عز وجل- في ذلك من قولهم: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، الآية إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠][(١)].

(١) جامع البيان (٦/ ٥٣٩).

فاشتملت الآية على بيان أنّ الأنبياء يدعون الناس إلى العلم بالله، ومعرفة شرائع دينه، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه، وأئمةً في طاعته وعبادته، بكونهم معلِّمي الناس الكتاب، وبكونهم دَارِسيه[1]، فموضوع الآية يتّفق مع موضوعات السور المكيَّة من حيث الحديث عن مسائل التوحيد.

وفي الجدول الآتي بيان للآيات حسب ورودها في السور المكيَّة والمدنيَّة:

م	المكي	المدني
١	﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]
٢	﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]	
٣	﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]	

(١) جامع البيان (٦/ ٥٣٨).

٤	﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَا ﴾ [سبأ: ٤٤]	
٥	﴿ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴾ [القلم: ٣٧]	

المطلب الثاني: دلالات الدِّراسة في القرآن الكريم:

دلَّت الآيات التي اشتملتْ على لفظ الدِّراسة على المعاني الآتية:

١. خصوصية دراسة الكتب السابقة بمَنْ نزلتْ عليهم دون غيرهم من الأمم الذين لم يكونوا على عِلْم بما يدرسونه؛ ولذلك كان المشركون يحتجّون بجهلهم بما أنزل الله من كتب، فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥ - ١٥٧].

٢. تكذيب المشركين في دعواهم أن النبي ﷺ كان يجتمع باليهود ويدارسهم ويدرس كتبهم ويتعلّمها -على اختلاف في قراءة ﴿دَرَسْتَ﴾-؛ مما جعله يأتي بالقرآن ويتقوّله، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، قال الطبري: «﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾، بتأويل: قرأتَ وتعلمتَ؛ لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي ﷺ، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾

[النحل: ١٠٣]، فهذا خبرٌ من الله ينبئ عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما يتعلّم محمد ما يأتيكم به من غيره»[(١)].

٣. الاحتجاج على المشركين الذين كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم؛ إِذْ لم يكن عندهم كُتب منزّلة من الله درسوها وتعلّموها حتى يكون لديهم أداة الحُكْم على صحة أو خطأ ما يُتلى عليهم من القرآن؛ ليقولوا إنه كتاب مفترى! لأنّ الحكم على القرآن بذلك يستلزم منهم معرفة دقيقة بكتب الله ناشئة عن مدارسة لها، وما داموا لم يكونوا أهل كتاب فجميع دعواهم ضدّ القرآن الكريم دعاوى باطلة لا صحة فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٣- ٤٤]، قال الطبري: «وما أنزلنا على المشركين (القائلين لمحمد ﷺ لمّا جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين، بما يقولون من ذلك) كتبًا يدرسونها، يقول: يقرؤونها»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم: ٣٤- ٣٨]، فذَكَر ﴿تَدْرُسُونَ﴾ على سبيل الاحتجاج على

(١) جامع البيان (١٢/ ٢٦).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٤١٥).

المشركين الذين ساووا بين المسلمين والمجرمين في الجزاء! قال ابن عاشور: «احتجاج على كذبهم، والاستفهام المقدر مع (أم) إنكار لأنْ يكون لهم كتاب، إنكارًا مبنيًّا على الفرض، وإن كانوا لم يدّعوه»(١).

٤. ورود الاستفهام التقريري توبيخًا لأهل الكتاب الذين درسوا كتاب الله وتعلَّموه، وعرفوا ما فيه معرفة دقيقة ثم هم يقولون على الله غير الحقّ، والله تعالى أخذ عليهم الميثاق ألّا يقولوا على الله غير الحقّ فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾، قال: علّموه، وعلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله، وقرأ: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾(٢).

٥. الاحتجاج على أهل العلم الذين درسوا الكتاب وتعلَّموه أن يقوموا على أمور الناس بما يصلحها في أمور الدِّين والدنيا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٩٣).

(٢) جامع البيان (١٣/ ٢١٥).

قال ابن عاشور: «وتدرسون، معناه: تقرؤون، أي: قراءة بإعادة وتكرير؛ لأنّ مادة درس في كلام العرب تحوم حول معاني التأثّر من تكرّر عمل يعمل في أمثاله»[(١)].

فالدِّراسة في القرآن جاءت بمعناها في اللغة، ولكنها خاصّة بدراسة كتب الله تعالى، وعليه فإن الدِّراسة في القرآن تعني: **تعاهُد كتاب الله بكثرة القراءة لفهمه وتدبّره وإدراك معانيه**.

وليس من دلالات معنى التدارس العمل، ولكن الدِّراسة حُجّة على أهل العلم إذا فرَّطوا في العمل، أو سلكوا طريقًا مخالفًا لِمَا تعلَّموه؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾، فالتربية جاءت بعد التعليم والدِّراسة.

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٥).

المبحث الثالث: العلاقة بين الدِّراسة والتلاوة ووسائل تعزيزهما:

المطلب الأول: علاقة التلاوة بالدِّراسة:

هناك علاقة بين التلاوة والتدارس في عدد من الجوانب يمكن بيانها كما يأتي:

١. أن من معاني التلاوة قراءةَ القرآن كما نزل به جبريل عليه السلام وقرأه على رسول الله ﷺ الذي كان يأخذ عنه القرآن من خلال المدارسة، كما قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦- ١٩]، وعن ابن عباس، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[(١)].

فتلاوة القرآن لا تصحّ دون قراءته قراءة مجوّدة كما نزل بها الوحي؛ ولذا كان لا بد من دراسة طريقة قراءة القرآن، فكان رسول الله ﷺ يأخذ القراءة عن جبريل ويعلِّمها صحابتَه، وهم نقلوها لمَن بعدهم، كلّ ذلك عن طريق المدارسة، قال الكَرْمَانيّ: «وفائدة درس جبريل تعليم الرسول ﷺ بتجويد لفظه

(١) صحيح البخاري، ك:٦١ المناقب، بَاب: صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ (٤/ ١٨٩/ ح٣٥٥٤).

وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، وليكون سُنّة في حقّ الأُمّة، كتجويد التلامذة على الشيوخ قراءتهم»[(١)].

٢. اقتران التلاوة بالتدارس في قوله ﷺ: (...وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[(٢)]، فعطف التدارس على القراءة يدلّ أنّ الدِّراسة أخصّ من القراءة[(٣)]، واقترانهما دليل على أهمية الأخذ بهما في مجلسٍ واحد، وأنّ العلاقة بين التلاوة والتدارس علاقة تكاملية، قال ابن عُثَيمين: «(يَتلونَ كِتَابَ الله) أي: يقرؤونه لفظًا ومعنى، أمّا اللفظ فظاهر، وأمّا المعنى: فالبحث في معاني القرآن. (وَيَتَدَارَسونَهُ بَينَهُم) أي: يدرس بعضهم على بعض هذا القرآن»[(٤)].

٣. إنّ المداومة على دراسة القرآن وتعاهده أحد معاني التلاوة؛ لِمَا في الدِّراسة من كثرة متابعة القراءة، وبذلك تتحقّق المهارة وإتقان التلاوة كما يسهل حفظ القرآن ويواظب عليه فلا يُنسى.

---

(١) الكواكب الدراري، الكرماني (١/ ٥١).

(٢) صحيح مسلم، ٤٨- كتاب الذكر والدعاء، ١١- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر (٤/ ٢٠٦١).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٥).

(٤) شرح الأربعين النووية، العثيمين، ص٣٥٨.

٤. إن تدارس القرآن له أثر في زيادة العمل والإقبال على الخير؛ لما يحدثه التدارس من زيادة في اليقين، ولذا كان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة بسبب تدارس القرآن، وبذلك يتحقّق معنى من معاني التلاوة.

المطلب الثاني: وسائل تعزيز التلاوة والدِّراسة:

ونظرًا لعظم مكانة التلاوة والمدارسة كان لا بد من الإشارة إلى شيء من وسائل تعزيز هذه العبادة العظيمة، ومن ذلك:

١. تعظيم شأن مجالس التلاوة والتدارس:

لمجالس تلاوة القرآن وتدارسه شأن عظيم عند الله تعالى؛ ولذلك خصّها بالشهود تأكيدًا على جلالة قَدْر تلك المجالس؛ إِذْ يحظى الدارسون فيها بأربع كرامات: غشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحضور الملائكة، وذِكر الله تعالى لهم في الملأ الأعلى، ويضاف إلى ما تقدم من كرامات ما جاء في حديث عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[(١)]، وكان أبو عبد الرحمن يجلس للإقراء، وكان يقول عن هذا الحديث: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا[(٢)].

فمن علم هذا الشأن العظيم لتلك المجالس بادر إلى حضورها وإقامتها، وحثّ الناس على شهودها، واعتنى بها أشدّ العناية بما يعزّز بقاءها واستمرارها، وإقبال الناس عليها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (٦/ ١٩٢/ ح٥٠٢٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (٦/ ١٩٢).

٢. مراقبة زيادة الإيمان واليقين بزيادة التلاوة:

هناك علاقة طرديَّة بين زيادة الإيمان في القلب ويقينه وبين زيادة التلاوة وكثرة تكرارها، فالله تعالى بيَّن صفة المؤمنين من خلال بيان أثر التلاوة عليهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢- ٤]، فعرَّف بالمؤمنين الذين كَمُل إيمانهم بذِكْرِ حالهم عند سماع التلاوة؛ من زيادة الإيمان وزيادة الأعمال الصالحة التي تبيّن قيامهم بحقّ التلاوة، فقوله: ﴿ إِنَّمَا ﴾ لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد، وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي الكاملون[(١)]، ومَن نظرَ في حال رسول الله ﷺ من كثرة الخير عند مدارسة القرآن عَلِمَ قوّة العلاقة بين الإيمان والتلاوة، وبَانَ له أنّ كثرة مدارسة القرآن خيرُ سبيل لزيادة الإيمان المرتبط بحسن العمل.

فالتلاوة ليست قراءة كتاب بشرٍ ينظر فيه القارئ نظر عقل لعقل، إنما هي تلاوة كلام الله تعالى، حيث تحيا الروح به ويستنير العقل بدلائله، وينشرح الصدر بمعانيه، إنها علاقة المطر بالأرض الجُرُز، وعلاقة النور بالظلمة، وعلاقة البصر بالباصرة.

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٥٠٠) ملخّصًا.

قال السعدي: «﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، ووجه ذلك أنهم يُلْقُون له السمع ويُحْضِرون قلوبهم لتدبّره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبّر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبيّن لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يُحْدِث في قلوبهم رغبةً في الخير، واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وجَلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكلّ هذا مما يزداد به الإيمان»[(١)].

وذكر ابن عاشور أنّ جملة: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، قُصِرَ الإيمان على أصحاب تلك الصفات، وقُرِن بما فيه بيان المقصور وهو أنهم المؤمنون الأحقّاء بوصف الإيمان. والحقُّ أصله مصدر حقَّ بمعنى ثبتَ، ويُطلق على الصواب والحكمة، فاسم الحقّ يجمع معنى كمال النوع.

ولكل صيغة قصر: منطوق ومفهوم، فمنطوقها هنا أنّ الذين جمعوا ما دلَّت عليه تلك الصلات هم مؤمنون حقًّا، ومفهومها أنّ من انتفى عنه أحد مدلولات تلك الصفات لم يكن مؤمنًا كاملًا، وليس المقصود أنّ من ثبتت له إحداها كان مؤمنًا كاملًا، إذا لم يتصف ببقية خصال المؤمنين الكاملين[(٢)].

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٣١٥.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٦١) ملخصًا.

٣. العناية بعلوم القرآن المُعِينة على التلاوة والمدارسة:

هناك علوم متعلّقة بالقرآن الكريم يحسن تعلّمها والعناية بها؛ لما لها من أثر في ضبط القراءة وإتقانها وفهم المعاني ودلالتها، وقد جاءت مرتبطة بالتلاوة في القرآن، ومن تلك العلوم الآتي:

- **علم تفسير القرآن:** وهو من أهمّ علوم القرآن، بل من أهم العلوم على الإطلاق، فلا بد من العلم بالتفسير وفق أصول السلف في تفسير القرآن، ففهم المعاني هو السبيل الأعظم لأداء حقّ التلاوة.
- **علم تجويد القرآن:** وهو علم يضبط القارئ من خلاله التلاوةَ وفق السُّنّة المتّبعة عند علماء القراءات، وللقراءة المجوّدة المرتّلة أثر عظيم في تحريكِ النفس، وجمعِ القلب لسماع كلام الله وتدبّر معانيه، ومن ثم الاستجابة له والعمل بما فيه؛ كلّ ذلك مما يسهم في تحقيق وظيفة التلاوة والقيام على حقّها.
- **علم نَظْم القرآن:** فمن خلاله يقف الدارس على أوجه الصّدق والحق في أنّ القرآن كلام الله تعالى المنزل، وعلامة على صدق نبوّته ﷺ، مع ما في دراسة نَظْم القرآن من الكشف عن دقائق المعاني، ومقاصد الآيات.

- **علم حجج القرآن:** فهو يعمّق اليقين بالقرآن، ويثبِّت القلب على حججه المجلية للشبهات المُثارة حول القرآن؛ إذْ إقامة الحُجّة على المكذّبين والشاكِّين في كتاب الله إحدى وظائف التلاوة.

- **علم قصص القرآن:** كثيرًا ما ترِد القصة في القرآن بعد صيغة التلاوة تأكيدًا على ما في تتبّع القصة من كشف للمعاني والحقائق، فيهتدي بذلك السامع إلى معرفة سنن الله تعالى في خَلقه، ويتبيّن له أحوال الأمم وتاريخهم في الهداية والضلال، ويهتدي إلى معرفة قيم الحضارة والاجتماع، والتمكين في حياة الإنسان.

- **علم مشكل القرآن ومتشابهه:** لأنه علم يبحث في الآيات التي تشتبه على القارئ أو تُشْكِل عليه، فتعيق فهمه للآيات وتدبّرها والعمل بها، ومن خلال دراسة مشكل القرآن تنجلي الإشكالات العلمية، وتزول الشبهة التي تمنع من التلاوة والاتّباع، وحسن الإنصات.

- **العلم بهدي النبي ﷺ في تدارس القرآن وقراءته:** إنّ القرآن نزل على رسول الله ﷺ ليبيّن للناس ما نُزِّل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، فكان ﷺ يعلِّم صحابتَه القرآن، فعن جابر بن عبد الله، قال: كان

رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ كما يُعَلِّمُنَا السورةَ من القرآن[1]، ويأمرهم بكتابته، ويبيِّن لهم معانيه التي تُشْكِل عليهم، ويعلِّمهم منهج تلاوته من خلال سُنّته القولية والفعلية والتقريرية، فيتعلَّمون منه معاني القرآن والعمل بها، كما كانوا يتعلمون منه طريقة القراءة ويَرجعون إليه إذا اختلفوا في شيء منها، قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه: سمعتُ هشامَ بْنَ حَكِيمٍ يقرأُ سورةَ الفُرْقَانِ في حياة رَسُولِ اللهِ ﷺ، فاستمعتُ لقراءته، فإذَا هو يقرأُ على حروفٍ كثيرةٍ لم يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصلاة، فَتَصَبَّرْتُ حتى سَلَّمَ، فَلَبَبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فقلتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هذه السُّورَةَ التي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غير ما قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ به أَقُودُهُ إلى رسولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سمعتُ هذا يَقْرَأُ سورةَ الفُرْقَانِ على حروفٍ لم تُقْرِئْنِيهَا، فقال: (أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ)، فقرَأَ القراءةَ التي سَمِعْتُهُ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ)، ثُمّ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (اقْرَأْ يَا عُمَرُ)، فَقَرَأْتُ التي أَقْرَأَنِي، فقال: (كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ؛ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)[2]، فكان ﷺ يباشر تعليمَهم القرآن، ويحرص على ذلك؛ فعن جابرٍ رضي الله عنه قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في

(١) صحيح البخاري، ك: الدعوات، بـ: الدعاء عند الاستخارة (٨/ ٨١/ ح٦٣٨٢).

(٢) صحيح البخاري، ك٩٧: التَّوْحِيدِ، بـ: قول الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾(٩/ ١٥٩/ ح٧٧٥٠).

الأمورِ كلِّها، كما يُعَلِّمُنَا السورةَ من القرآن»[(١)]. وعن ابن عباس، قال: «كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»[(٢)].

قال القسطلاني: «قال في البهجة: التشبيه في تحفّظ حروفه وترتيب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه والدّرس له والمحافظة عليه»[(٣)].

٤. الحذر من مخالفة التلاوة:

مما ينبغي على تالي القرآن الكريم أن يجاهد نفسه على العمل بما فيه، ويحذر من مخالفته ومناقضة قوله أو فعله ما جاء في كتاب الله تعالى؛ إِذْ إن ذلك دليل نقص العقل، وهو مسلك خطير أدّى إلى ضلال أهل الكتاب وذمِّ الله تعالى لهم، فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

فالقرآن الكريم حُجّة على الإنسان أو له بحسب استقامته عليه وقيامه بحقّه، أو إعراضه عنه وهجرانه، ففي حديث أبي مالك الأشعري، قال: قال

(١) صحيح البخاري، ١٩- ك: التهجد، ٢٦- أبواب التطوع باب: ما جاء في التَّطَوُّعِ مَثْنَى مَثْنَى (٢/ ٥٧/ ح١١٠٩).

(٢) صحيح مسلم، ٤- ك: الصلاة، ١٦ - باب التَّشَهُّدِ في الصلاة (١/ ٣٠٢/ ح٤٠٣).

(٣) إرشاد الساري، أحمد بن محمد القسطلاني (٩/ ٢١٦).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: (...وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)[(١)].

قال النووي: «والقرآن حُجّة لك أو عليك؛ فمعناه ظاهر، أي: تنتفع به إنْ تلوتَه وعملتَ به، وإلّا فهو حجّة عليك»[(٢)]؛ ولذا كان مِنْ هَجْرِ القرآن هجرُ تلاوته وهجرُ العمل به، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، قال ابن كثير: «وتَرْك تصديقه من هجرانه، وتَرْك تدبّره وتفهّمه من هجرانه، وتَرْك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعُدول عنه إلى غيره من شِعْرٍ أو قولٍ أو غِناء أو لهوٍ أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره، من هجرانه...»[(٣)].

٥. التأني وعدم العجلة وسؤال الله الزيادة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، فدلَّت الآية على جانبَيْن أساسيَّيْن عند تلاوة القرآن ودراسته:

---

(١) صحيح مسلم، ك: الطهارة، بـ: فضل الوضوء (١/ ٢٠٣/ ح٢٣٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (٣/ ١٠٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٩٩).

- **أحدهما**: الصبر والتخلُّق بالتأني، وحُسن الإنصات عند أخذِه وتلقِّيه، وتَرْك العجلة التي تمنع من التأني والتُّؤَدة، كما تمنع من الصبر على كثرة التصحيح، وضبط الأداء أو مراجعة الحِفْظ وتعاهده، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦- ١٩]، عن ابن عباس قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ -فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ- فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦- ١٧]، قال: جَمْعَهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، قال: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩]، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ»[(١)].

- الثاني: الدعاء وسؤال الله الزيادة من العلم والفهم والفقه، سواء بتثبيت الحفظ وتيسيره، أو ببيان تفسير الآيات والكشف عن معانيها والصبر على ذلك،

(١) صحيح البخاري، ك: بَدْءُ الوَحْيِ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ (١/ ٦/ ح٥).

قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

الخاتمة:

يعدُّ فهم مصطلح التلاوة والدراسة وفق ورودهما في القرآن الكريم أحد المرتكزات الأساسية في تحقيق العمل بهما، وفي الوعي بعمق التلازم بينهما والعناية بتعزيزهما، وبعد دراسة الآيات التي اشتملت على الحديث عن هذين المصطلحين خلصت الدراسة إلى الآتي:

النتائج:

١. إنَّ معنى التلاوة في القرآن تعاهُد القرآن بقراءته كما أُنْزِل، وأداء حقّه باتِّباع ما جاء فيه اتِّباعًا مطلقًا.

٢. إنّ معنى الدِّراسة في القرآن تعاهُد كتاب الله بكثرة القراءة لفهمه وإتقانه وحفظه.

٣. إنّ تلاوة القرآن الكريم معنى واسع ذو بُعْد إيماني شامل لحياة المسلم.

٤. إن الدِّراسة وردَتْ في القرآن في سياق بيان دراسة أهل الكتاب لكتبهم، أو العلماء، أو في محاجّة المشركين.

٥. إن الدِّراسة معنى أخصّ من التلاوة؛ إِذْ هي عملية تعليمية لكتاب الله تعالى.

٦. إنّ من مقومات تعزيز تلاوة القرآن ومدارسته تعظيمَ مجالس التلاوة والمُدارسة، والنظر في آثارها الإيمانية.

٧. إنّ التلاوة والدِّراسة في القرآن لم تَرِدَا في صيغة المصدر إلّا مرة واحدة، وهما على وزن (فِعَالة) الدالّة على الصنعة، وغالب ورودهما في صيغ الفعل الدالّ على استمرار التلاوة بمهارة في جميع الأحوال والعمل بالقرآن، والدالّ على استمرار دراسة القرآن وتعاهده بالحفظ والفهم والتدبّر.

التوصيات:

١. النظر إلى معنى التلاوة من خلال معناها القرآني الشامل، وعلاقتها الطردية بزيادة الإيمان.

٢. الدعوة إلى ترسيخ حقّ التلاوة لدى حَمَلة القرآن، وعموم المسلمين.

٣. العناية بالتصنيف في موضوعات علوم القرآن ذات الصلة بتلاوة القرآن وتدريسه في مجالس المُدارسة.

٤. العناية بقياس أثر التلاوة على واقع حَفَظة القرآن.

٥. دعم حلقات التحفيظ بالمشاريع النوعية التي تعزز التلاوة والمُدارسة، وفق منهج السلف الصالح.

وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

١- أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، المحقّق: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٣- أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزَّجَّاجي (ت: ٣٣٧هـ)، المحقّق: الدكتور/ مازن المبارك، الناشر: دار النفائس - بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦- ١٤٣٦هـ).

٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقّق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية. بدون سنة طبع.

٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، بدون رقم الطبعة وسنة الطبع.

١٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفّى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقّق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، المحقّق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٦- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، أبو بكر الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، المحقّق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٧- الحُلَل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري للإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بقلم عبد الله بن مانع الروقي، الناشر: دار التدمرية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٨- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط٢٧، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٩- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي - مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢٠- شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العُثَيمِين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريَّا، بدون سنة طبع.

٢١- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ)، المحقّق: د. حسين بن عبد الله العمري وآخرون، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت = دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٢- الفريد في إعراب القرآن المجيد، المُنتجب حسين الهمذاني (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. محمد حسن النمر، الناشر: دار الثقافة، قطر، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢٣- في مفهوم التلاوة: دراسة قرآنية، عبد الحميد الإدريسي، مجلة معهد الإمام الشاطبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المجلد ١٠، العدد ١٩، عام ٢٠١٥م.

٢٤- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بدون سنة طبع.

٢٥- الكتاب، عمرو بن عثمان أبو بشر، سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، المحقّق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٧- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكَرْمَانيّ (ت: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١: ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م، ط٢: ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٩- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، محمد طاهر ابن علي الفَتَّنِي (ت: ٩٨٦هـ) الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٣٠- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، المحقّق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، المحقّق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون سنة طبع.

٣٢- معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عامر، عمان، ط٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣٣- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٣٤- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، المحقّق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسّسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم)، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، بدون سنة الطبع ورقم الطبعة.

٣٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، المحقّق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، بدون سنة طبع.

٣٨- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق = بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٤٠- موقع ويكيبديا على الشبكة العنكبوتية https://ar.wikipedia.org

٤١- نَظْم الدّرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البِقاعِي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

٤٢- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: نصر الله حاجي أوغلا، الناشر: دار صادر - بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.